

## يهود الاتحاد السوفياتي سابقاً في إسرائيل: رصيد أم عبء أم تحدّي؟\*

نعومي شبرد\*\*

خلال السنوات الأربع الماضية [١٩٩٠ - ١٩٩٣]، هاجر أكثر من نصف مليون مواطن، من الاتحاد السوفياتي سابقاً، إلى إسرائيل، الأمر الذي أدى إلى ازدياد عدد سكانها بنسبة ١٠٪. وكانت أكثرية المهاجرين الراشدين من خريجي الجامعات السوفياتية أو المعاهد التكنولوجية. كما كانت الفئة الأكبر بين هؤلاء مهندسين ومهندسين معماريين.<sup>(١)</sup> ومن المفترض، نموذجياً، ألا يكون القادمون الجدد زيادة رقمية في عدد السكان اليهود في إسرائيل فحسب، بل أن يوفرُوا أيضاً (لجيل واحد على الأقل) المواهب والكفاءات التي تحتاج إليها إسرائيل لتوسيع القطاع في الاقتصاد الموجه نحو التصدير، والقائم على تكثيف العمل والتكنولوجيا المتطورة، والتي تحاول بناءه منذ ما ينوف على عقد من الزمن. إن نسبة ذوي التعليم العالي من هؤلاء تبلغ أربعة أضعافها بين السكان اليهود في إسرائيل. لذا، توقّع علماء الاقتصاد والاجتماع أن تؤدي "موجة الهجرة" الجديدة إلى جعل إسرائيل الدولة التي تضم السكان الأكثر مهارة في العالم، بحكم كون الأشخاص المؤهلين أكاديمياً فيها يشكلون ١١٪ - ١٤٪ من القوى العاملة الوطنية.<sup>(٢)</sup>

لكن هذه التوقعات افترضت أن أولئك الأشخاص ذوي المهارات العالية، سيجدون، في معظمهم، أعمالاً تتلاءم مع مواهبهم وكفاءاتهم - وهو افتراض غير عملي. فمن السابق جداً لأوانه تقويم مدى نجاح أو فشل "استيعاب" هؤلاء المهاجرين في إسرائيل. فقد تبين، فعلاً، أنه من المستحيل القيام بتخطيط طارئ ودقيق لإسكان العدد الأكبر من المهاجرين وتشغيلهم، من دون هدر في الموارد. فموجة الهجرة الراهنة، على سبيل المثال، بلغت ذروتها في سنتي ١٩٩١ و ١٩٩٢. وفي ذلك الوقت، توقّع المخططون لها أن يصل مليون مهاجر إلى إسرائيل من اتحاد الجمهوريات المستقلة (الاتحاد السوفياتي سابقاً)<sup>(٣)</sup> في غضون خمس سنوات. لكن العدد انخفض، بصورة دراماتيكية، ليستقر على ٦٠٠٠ مهاجر شهرياً في سنة ١٩٩٣، كما تراجع، بصورة ملحوظة، مستوى مؤهلات المهاجرين وكفاءاتهم. وبدلاً من الأكثرية الساحقة من

\* المصدر: Naomi Shepherd, "Ex-Soviet Jews in Israel: Asset, Burden, or Challenge?" *Israel Affairs*, Vol. 1, No. 2, Winter 1994, pp. 245-266.

\*\* كاتبة وصحافية مستقلة، مقيمة بالقدس.

خريجي العلوم والفنون، كان العدد الأكبر من القادمين، خلال سنة ١٩٩٤، من الفنيين والحرفيين المهرة.<sup>(٤)</sup>

وقد ساعد الاعتقاد أن هذا الانخفاض في عدد المهاجرين جاء نتيجة الاستياء بين المهنيين الذين لم يستطيعوا إيجاد أعمال مماثلة لتلك التي كانوا يقومون بها في اتحاد الجمهوريات المستقلة. وفي الوقت الراهن، هناك ٣٠٪ فقط من المهاجرين يعملون في مجالات اختصاصهم، و١٩٪ عاطلون عن العمل. وتبلغ نسبة البطالة بين النساء ضعفي مثلتها بين الرجال.<sup>(٥)</sup> واضطر الكثيرون إلى متابعة برامج لإعادة تدريبهم، كي يتمكنوا من التكيف وفق متطلبات سوق العمل الإسرائيلية.

وتقدم الحكومة الإسرائيلية "سلة" مساعدات أولية إلى جميع المهاجرين، وتعويضات بطالة إلى أولئك الذين لم يستطيعوا إيجاد أعمال لهم. فالقادمون الجدد كلهم يحظون بمعاملة تفضيلية في مجالات الإسكان، وضريبة الدخل، وحسومات الرسوم الجمركية، وتعويضات البطالة، فترة تصل إلى ثلاثة أعوام، بالإضافة إلى منحة نقدية تدفع مرة واحدة، فضلاً عن تعليمهم اللغة العبرية مجاناً خلال الفترة الأولى من وجودهم في البلد. وبما أن نسبة البطالة بين المهاجرين تبلغ ضعفي مثلتها بين السكان القدامى، فإن ذلك يشكل عبئاً على خدمات الشؤون الاجتماعية في المدى القريب. إضافة إلى ذلك فإن نسبة المسنين تتجاوز ١٤٪ من مجموع المهاجرين (في مقابل ١٠٪ بين السكان القدامى)، وهناك أكثر من ٢٠,٠٠٠ عائلة ذات معيل واحد (single-parent families)، وهي ظاهرة مألوفة في الاتحاد السوفياتي، لكنها تعتبر مشكلة في إسرائيل، وخصوصاً على صعيد الإسكان.<sup>(٦)</sup>

لذا، يدور هناك جدال علني بشأن ما إذا كان عبء استيعاب المهاجرين ليس أكبر من الفوائد الكامنة في أعدادهم ومهاراتهم. وتشير الاستطلاعات الدورية للآراء، منذ سنة ١٩٨٩، إلى أنه في حين يؤيد معظم الإسرائيليين القدامى لفظياً مبدأ الهجرة، فإن أغليبتهم (وخصوصاً أولئك الذين ينتمون إلى الشرائح الاجتماعية - الاقتصادية الدنيا، والأقل تحصيلاً علمياً) تعتقد أن القادمين الجدد يتمتعون بمعاملة تفضيلية على حسابهم، وهم غير مستعدين للقيام بدور ناشط من أجل استيعابهم.<sup>(٧)</sup> أما الأقلية العربية في إسرائيل، التي يتدنى مستوى الكثير من الخدمات في قراها ومدنها إلى ما دون المعدل، فهي ممتعضة، بصورة خاصة، من القادمين الجدد.<sup>(٨)</sup> وأما سكان الكيبوتسات، فقد وضعوا خطاً خاصة لإسكان الشبان والعائلات الجديدة والعناية بهما خلال الفترة الأولى من الهجرة.<sup>(٩)</sup> لكن مشاعر الحماسة الأولى لدى الكيبوتسات تجاه المهاجرين كان مصدرها أن كثيراً من شبان الكيبوتسات انتقلوا إلى المدن، وعندما اتضح لها أن قليلين جداً من المهاجرين مؤهلون، لسبب أو لآخر، للعضوية الدائمة فيها، فترت حماسها.

من جهة أخرى، يشكل المهاجرون من اتحاد الجمهوريات المستقلة تحدياً لإسرائيل، قد يؤدي إلى الإسراع في عمليات التغيير في المجالين الاقتصادي والاجتماعي، والتي كانت بدأت قبل وصولهم، مع أن هذين المجالين يعوقان الاستيعاب السريع للمهاجرين في المدى القريب. ولنأخذ مثالين فقط لذلك: إن سيطرة الحكومة على الصناعات الأساسية ما زالت أكثر انتشاراً مما هي في معظم بلاد الغرب. لكن هناك اتجاهاً نحو خصخصة الاقتصاد وزيادة تطويره. وقد أدى ذلك إلى المزيد من البطالة، بسبب الاستغناء عن خدمات الكثيرين من العمّال - ومن هنا استياء القادمين الجدد - لكن ما أن يتمكن المهاجرون من فهم مبدأ اقتصاد السوق والمبادرة الفردية (وهما ظاهرتان غير مألوفتين لمن ترعرعوا في ظل الشيوعية)، فإنه من المحتم أن ينهضوا بالقدرة الإنتاجية للبلد.

والمثال الثاني هو أن القوة التي تتمتع بها الأقلية الدينية المتشددة في الحقل السياسي، وفيما يتعلق بقانون الأحوال الشخصية، هي موضع خلاف، وتتناقض مع الحقوق المدنية في إسرائيل في جوانب كثيرة. فمعظم المهاجرين الجدد "علمانيون" تماماً، وكثيرون منهم ليسوا يهوداً بموجب المعايير الحاخامية.<sup>(١٠)</sup> ويؤدي ذلك، في المدى القريب، إلى صعوبات في استيعابهم، لكنه ربما يشجع، في النهاية، على الفصل المنشود منذ زمن بعيد بين الدين والدولة في إسرائيل.

تتناول هذه المقالة بعض الوسائل التي اعتمدها الحكومة الإسرائيلية لمواجهة ضغوط الهجرة الجماعية، وتشير إلى بعض جوانب التفاعل بين المجتمع القديم والقادمين الجدد، وتحاول استشراف كيفية تأثير هؤلاء في الحياة الثقافية والسياسية في إسرائيل مستقبلاً. وهناك تركيز خاص على أصول حياة هؤلاء المهاجرين ومكوناتها، وعلى الكيفية التي حدّد من خلالها النظام السوفياتي تلك الحياة وخياراتها المهنية.<sup>(١١)</sup>

### إسرائيل واليهود السوفيات

إن الدور الذي تقوم به الحكومة الإسرائيلية والمؤسسات شبه الحكومية، تاريخياً وتقليدياً، حيوي فيما يسمى "استيعاب المهاجرين". فالمهاجرون الجدد كلهم تقريباً ينقلون إلى إسرائيل على نفقة الوكالة اليهودية، وهي منظمة صهيونية شبه حكومية، يديرها جزئياً يهود الشتات. والدائرة الحكومية المعنية، أي وزارة الاستيعاب، تقرر وتنسق في شأن كثير من جوانب استقبالهم. وهناك وزارات حكومية أخرى تنظم برامج من أجل إعادة تدريبهم، كالدورات الهادفة إلى تعريف المعلمين بالنظام التعليمي الإسرائيلي.

وسياسة الهجرة في إسرائيل مختلفة عنها في أية دولة حديثة أخرى، حتى في

الدول التي ترحب بالهجرة. فبموجب "قانون العودة"، ألزمت إسرائيل نفسها، عقب قيام دولتها، بأن تستقبل أي يهودي، أو أي فرد في أسرة يهودية، يطلب المواطنة الإسرائيلية. ومن الصعب تصور أن تقدم أية دولة أخرى بحجم إسرائيل، أقل تكريساً لمبدأ الهجرة كوسيلة إنقاذ، على استقبال مثل هذه الأعداد الضخمة من المهاجرين، الذين لم يحملوا معهم شيئاً سوى مهاراتهم، خلال مثل هذه الفترة القصيرة، وخصوصاً أن إسرائيل تفتقر إلى عدد من الظروف المواتية للاستيعاب الأمثل كما حدده خبراء الهجرة، كالاقتصاد الملائم لتحرك المهاجرين اقتصادياً، وكالقدرة على ضبط حجم تدفق الهجرة.<sup>(١٢)</sup> كما وُجّهت انتقادات إلى الحكومة الإسرائيلية لفشلها في التنبؤ بالهجرة الكبيرة التي أملت بها، وسعت لها لدى الحكومة السوفياتية أعواماً طويلة، ولفشلها في التخطيط السليم لها.<sup>(١٣)</sup>

وكان السياسيون الإسرائيليون، طبعاً، قد رفعوا التوقعات بشأن المهاجرين، من خلال خطابهم السياسي الذي يشكل جزءاً من مخزون الصهيونية. لكن شعار "تجميع المنفيين" مبسط بصورة مضللة، حتى فيما يتصل بعدد المهاجرين المحتملين. فالتقديرات بشأن العدد الحقيقي لليهود في الاتحاد السوفياتي، عندما اتخذ غورباتشيف قراره الثوري السماح لليهود بالهجرة الحرة، كانت متباينة إلى حد كبير.<sup>(١٤)</sup> وكان عدد اليهود الروس، في الأعوام الأخيرة [كالاتحاد السوفياتي]، قد انخفض بمقدار الثلث، نتيجة السياسات السوفياتية والزواج بأفراد من أديان أخرى. إضافة إلى أن الكثيرين منهم لا يعرفون سوى القليل عن تاريخ اليهود المنفصل، وعن دينهم وثقافتهم.<sup>(١٥)</sup> كما أن اليهود في الجمهوريات الغربية من الاتحاد السوفياتي لم يعودوا يعيشون في مجتمعات منفصلة ومحددة. وعلاوة على ذلك، يبدو من المرجح احتمال أن يكون وجود كلمة "عبري" على "جوازات السفر" الداخلية أو بطاقات الهوية، في ظل الحكم السوفياتي، عائقاً أمام تقدمهم، الأمر الذي جعل الكثيرين من اليهود يحاولون كتم أصواتهم.

وقد انعكس النزوع إلى الكتمان حالماً أصبح في إمكان اليهود أن يهاجروا بحلول البريسترويكا، إذ أعطي اليهود أفضلية على سواهم من طالبي الهجرة. وأصبح اليهود، بل وأيضاً المتزوجون من يهود، يجاهرون بهويتهم العرقية، للحصول على السماح بالمغادرة. وعندها أعيد النظر في التقديرات من جديد.<sup>(١٦)</sup>

والحقيقة الوحيدة التي لا تقبل الجدل في شأن اليهود السوفيات في هذه الفترة الدقيقة، هي أنه قبل القرار السياسي الأميركي في سنة ١٩٨٩ المتعلق بتحديد سقف هجرة اليهود من الاتحاد السوفياتي، كان المهاجرون اليهود يفضلون، في معظمهم، أن يهاجروا إلى الولايات المتحدة، لا إلى إسرائيل. وخلال تلك الفترة، لم يختار الهجرة إلى إسرائيل سوى ١٢٪ من زعماء اليهود في الاتحاد السوفياتي.<sup>(١٧)</sup> وتختلف الأسباب

للهجرة الجماعية الراهنة باختلاف الأماكن التي يأتي منها المهاجرون. لكن أكثر المعطيات تشير إلى أن الدوافع الأساسية إلى الهجرة الحالية هي الخوف من الاضطراب السياسي والاقتصادي بعد العهد السوفياتي، ومن مخاطر البيئة، أكثر مما هي التضامن اليهودي والتماثل مع الصهيونية، أو حتى الخوف من موجات متجددة ضد السامية في اتحاد الجمهوريات المستقلة.<sup>(١٨)</sup> ولهذه الأسباب جميعاً كان من الصعب التخطيط بدقة للهجرة الكبرى التي حدثت في مطلع التسعينات.

وفي أية حال، أُتيح لإسرائيل، في الأعوام التي سبقت البريسترويكا، فرصة كافية لدراسة المشكلات والصعوبات بالنسبة إلى الدمج الاجتماعي لليهود الذين ترعرعوا في ظل الحكم السوفياتي. فقد استطاع الوصول إلى إسرائيل، منذ السبعينات وما بعدها، نحو ١٥٠,٠٠٠ يهودي من الاتحاد السوفياتي. ومع أن الكثيرين من هؤلاء واجهوا الصعوبات نفسها التي يواجهها المهاجرون اليوم (أبرزها انخفاض مكانتهم المهنية، مؤقتاً)، فإن اندماجهم في المجتمع كان ناجحاً جداً بصورة إجمالية. وهذا ما جعل المخططين للهجرة متفائلين بإفراط في شأن قدرة إسرائيل على استيعاب القادمين الجدد من اتحاد الجمهوريات المستقلة، غير آخذين في الاعتبار اختلاف تركيبة الهجرات السابقة عن الهجرة الحالية، والاختلاف الكبير بين الأوضاع الاقتصادية في إسرائيل في السبعينات وبينها في التسعينات.

لقد اشتملت هجرة السبعينات على كثيرين من أشهر العلماء السوفيات الممنوعين من الهجرة، الذين تجرأوا على مواجهة احتمال سجنهم وخسارتهم مناصبهم، لمجرد تقديمهم طلب سمة مغادرة إلى إسرائيل. والأشخاص الذين يرؤسون حالياً منظمة المهاجرين الروس في إسرائيل، "فوروم" (Forum)، المرتبطة بالوكالة اليهودية، هم القادة الذين اضطهدهم النظام السوفياتي في البداية، ثم سمح لهم بالمغادرة إلى إسرائيل، استجابة للضغوط الغربية من جهة، وللتخلص من مشاغبتهم من جهة أخرى.<sup>(١٩)</sup> وبين عشرات الآلاف من المهاجرين الأوائل، كان هناك أيضاً كثيرون لديهم خلفية يهودية، بمن فيهم الآتون من دول البلطيق، حيث بقيت الثقافة اليهودية نظراً إلى بعدها عن المراكز الأساسية للنظام، وبمن فيهم جماعات كاملة من الدول الآسيوية، حيث استطاع اليهود أن يحافظوا على الكثير من تقاليدهم وعاداتهم الدينية. ولا ريب في أن بعض المهاجرين الأوائل استخدم إسرائيل ممراً للانتقال إلى الغرب. لكن معظمهم بقي هنا، وبينهم عدد من علماء النفس وعلماء الاجتماع، الذين لديهم المعرفة التي تمكنهم من تقديم المهاجرين الجدد إلى الإسرائيليين القدامى. لكن هناك مظاهر بارزة للتوتر بين الفئتين، لا يدركها معظم الإسرائيليين القدامى، إلا إنها واضحة لأي شخص يستكشف الثقافة الروسية الفرعية المتشعبة في إسرائيل.

إن نجاح إسرائيل في استيعاب المهاجرين الروس الأوائل (بصرف النظر عن كونهم

أقل عدداً بكثير)، يعود، جزئياً على الأقل، إلى أن الوضع الاقتصادي الإسرائيلي في السبعينات، وخصوصاً بعد "حرب يوم الغفران" سنة ١٩٧٣، كان راكداً، وصناعاتها غير متطورة نسبياً، والمهارات التي حملها المهاجرون معهم كانت مطلوبة أكثر. ومع التحديث المتدرج للاقتصاد، واقتراجه أكثر من المستويات العربية، ازداد انتشار البطالة، حتى تراوحت نسبتها، سنة ١٩٨٩، ما بين ٤٪ و ٧٪ (هي اليوم أكثر من ١٠٪). وبوصول المهاجرين من اتحاد الجمهوريات المستقلة، ازدادت القوى العاملة بنسبة ٨٪ خلال ثلاثة أعوام، أي أكثر مما يمكن للاقتصاد الأخذ في التغيير أن يستوعبه. وزاد الطين بلّة دخول آلاف الشبان بالذين ولدوا عقب حرب الأيام الستة سوّ العمل، بعد أن أنهوا خدمتهم العسكرية ودراساتهم الجامعية. ومن هنا الصعوبة في الموازنة بين مطالب المهاجرين الجدد ومطالب السكان القدامى.

وهناك أيضاً مشكلة أخرى أقل بروزاً، وهي دوافع المهاجرين الجدد إلى الهجرة ورغبتهم في المرور بفترة انتقالية تجريبية. وبما أن المهاجرين الحاليين ليسوا هاربين من الشيوعية، وإنما من البريسترويكا وعيوبها، فإنهم ليسوا لاجئين فعليين، لكنهم أناس يسعون لتحسين أوضاعهم الحياتية اقتصادياً واجتماعياً، وهذا يخفف استعدادهم لتحمل الهبوط في الوضع المهني، الذي يصيب الكثيرين منهم. فهناك، مثلاً، ٢٥٪ فقط من المهندسين (وهم أكبر مجموعة مهنية) يعملون في مجال اختصاصهم، و ٢٠٪ لا يزالون عاطلين عن العمل. أمّا العلماء، فوضعهم أفضل قليلاً، حيث يعمل ٣٣٪ منهم في مجال اختصاصهم. لكن هذا الإحصاء قد يكون مضللاً، لأن المساعدات الحكومية لمؤسسات التعليم العالي تتيح للكثيرين أن يمضوا عامين أو ثلاثة أعوام في العمل هناك، قبل أن يصرفوا من عملهم حين تنتهي المنحة.<sup>(٢٠)</sup>

إن أخبار التجارب التي يمر بها المهاجرون تصل إلى اتحاد الجمهوريات المستقلة بسرعة. وبعكس الوضع في أثناء العهد السوفياتي، هناك اتصالات مفتوحة بين إسرائيل واتحاد الجمهوريات المستقلة عبر الإذاعة والتلفزة، ومن خلال الرسائل والمكالمات الهاتفية بين المهاجرين وأقربائهم الذين لم يهاجروا. وهناك أقلية بين المهاجرين تجرب العيش متنقلة بين هنا وهناك؛ وثمة عائلات لم يستطع أطفالها أن ينافسوا الأطفال الإسرائيليين في المدارس، أعادت أطفالها إلى أقارب لها لمتابعة دراستهم في روسيا أو في أجزاء أخرى من اتحاد الجمهوريات المستقلة. وقد نظمت وزارة العمل الإسرائيلية برامج لإعادة التدريب في روسيا وأماكن أخرى، بالتعاون مع حكومات اتحاد الجمهوريات المستقلة، لتأهيل المهاجرين للعمل في إسرائيل حتى قبل هجرتهم. وتساهم المؤسسات الإسرائيلية في رعاية التعليم اليهودي في اتحاد الجمهوريات المستقلة، على افتراض أنه إذا كان لا يزال هناك إمكان لهجرة من الاتحاد السوفياتي سابقاً، حيث يُقدّر عدد اليهود حالياً بنحو مليون وربع مليون نسمة، فإن

من الأفضل إعداد هؤلاء للهجرة، من خلال إمدادهم ببعض المعرفة عن تاريخهم وثقافتهم الخاصين بهم.

إن اليهود السوفيات لم يكونوا، في الأساس، يعتبرون أنفسهم جزءاً من أمة ذات تراث ثقافي متميز (لم يعرفوا سوى القليل عنه بسبب السياسات الشيوعية)، وإنما اعتبروا أنفسهم ممثلين لنخبة مهنية داخل الاتحاد السوفياتي. وقد شكّل اليهود ٥٪ من المواطنين السوفيات ذوي التعليم العالي، وهي نسبة أعلى كثيراً من نسبتهم الإجمالية بين السكان، وفي المدن الكبرى، وصلت نسبة الأطباء والعلماء اليهود إلى رقم مذهل هو ٣٠٪<sup>(٢١)</sup> وفي الوقت نفسه، نظر الآخرون إليهم، ونظروا هم إلى أنفسهم كغرباء من وجوه عدة، يتم تجاوزهم، في الغالب، في شغل المناصب العليا بسبب هويتهم اليهودية، وكانوا - كبقية المفكرين السوفيات - شديدي الانتقاد والتشكيك في جميع الأنشطة السياسية. وإذا كانت مواهبهم تجعلهم مهاجرين مرغوباً فيهم لدى الدولة اليهودية، فإن مواقفهم الثقافية تجعلهم يبدون مواطنين مشاغبين هناك. ويقول الكثيرون منهم بأسى: "كنا يهوداً في روسيا، وها نحن روس هنا."

واستناداً إلى تجربة المهاجرين الأوائل كمقياس لهم، رأى خبراء الاقتصاد الذين حاولوا تحليل الصعوبات الراهنة في توفير فرص العمل للمهاجرين الجدد، أن الضغوط الحالية على المهاجرين لتغيير أعمالهم أو لقبول ما هو أدنى، لن تقتصر على خسارة رأس مال بشري ثمين، وإنما ستؤدي كذلك إلى الاستياء الدائم، وفي النهاية إلى هجرة أولئك الذين لم يجدوا وسيلة لاستخدام مهاراتهم على الوجه الأمثل<sup>(٢٢)</sup>. فالتغييرات البعيدة الأثر في السياسة المالية، والمزيد من المرونة في سوق العمل، وتشجيع الاستثمار في القطاع الخاص، هي الإجراءات الوحيدة التي يمكن أن تحول دون التراجع في نسبة النمو، وفي ارتفاع نسبة البطالة، وفي فقدان المهاجرين الذين اعتبروا مكسباً للدولة. وبالمناسبة، لم يقترح أحد أن تغير إسرائيل سياستها تجاه الهجرة إلى أن يتم دمج الموجة الحالية تماماً - وهذه هي ردة الفعل المرجحة تجاه الهجرة في أية دولة أخرى.

ومن أجل أن تستطيع إسرائيل أن تواكب طموحات المهاجرين وتوقعاتهم، وأن تستفيد تماماً من خبراتهم، ينبغي لها أن توفر مبالغ ضخمة من أجل استثمارها في صناعة التكنولوجيا المتطورة (نذكر مبلغ ٤٠ مليار دولار)<sup>(٢٣)</sup> أو كبديل من ذلك، تثوير صناعة البناء وتجديد البنى التحتية المادية التي باتت غير ملائمة، للاستفادة من المهارات الهندسية. لكن حتى لو أصبح تشغيل المهاجرين في طليعة أولويات البلد، وأمكن إيجاد مستثمرين أجانب لتمويل ذلك - لأن المهمة تتجاوز قدرات إسرائيل وحدها - فستبقى هناك مشكلات أخرى. فعلى سبيل المثال، هناك فائض في عدد

الأطباء بين المهاجرين في بلد لديه واحدة من أعلى النسب في العالم بين عدد المرضى وعدد الأطباء، كما أن لدى بعض المهاجرين مهناً واختصاصات لا معادل لها خارج الاتحاد السوفياتي. وعلاوة على ذلك، ليس هناك طريقة تتمكن إسرائيل من خلالها تغيير التكوين النفسي لليهود السوفيات. فتجاربهم خلال الأعوام التي أمضوها في ظل الشيوعية هي وحدها التي تجعلهم، في نهاية المطاف، يقررون البقاء أو المغادرة. ولا ينفي هذا أهمية مهاراتهم في الاقتصاد، كما لا يعني إنكار فائدتهم كعامل مبلور - على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي - وإنما يراد به تغيير النظرة إلى مسؤولية الحكومة الإسرائيلية والسكان القدامى تجاه النجاح أو الفشل في استيعاب المهاجرين واندماجهم اجتماعياً.

### استيعاب الهجرة السوفياتية

إن السؤال بشأن المدى الذي يمكن أو ينبغي للحكومة أن تصل إليه في تدخّلها من أجل دمج هذه الكتلة الساحقة من المهاجرين، هو سؤال حرج ودقيق. فالفائدة النظرية من التوجيه الحكومي، والتنسيق الضعيف بين الأجهزة الحكومية للتخطيط، يظهران بوضوح في الطريقة التي عالجت بها إسرائيل مسألة إسكان المهاجرين حتى الآن. وقد جرى اختبار دور الأجهزة الحكومية المعنية بالاستيطان والاستيعاب بطريقتين، من خلال الهجرة الجماعية من اتحاد الجمهوريات المستقلة. فبعكس التوجه في الأعوام الأخيرة، أصبحت وزارة الإسكان مرة أخرى معنية، مباشرة، بتوزيع السكان؛ بينما تبنت وزارة الاستيعاب، في الوقت نفسه، سياسة "الاستيعاب المباشر".<sup>(٢٤)</sup> حاولت الوزارة الأولى توجيه المهاجرين إلى مناطق الأطراف، بينما تركت لهم الوزارة الثانية الحرية الكاملة في إيجاد المسكن والعمل حيث أرادوا. وبما أن فرص العمل أندر ما تكون في مناطق الأطراف، فإن هاتين السياستين كانتا متناقضتين.

ومن أجل تلبية الحاجات السكنية التي تضاعفت أربع مرات بسبب وصول المهاجرين في سنتي ١٩٩١ و١٩٩٢، عكست الحكومة توجهها عمره عشرون عاماً نحو خصخصة سوق الإسكان (من ٢٨٪ في ميزانية تطوير المشاريع الإنشائية سنة ١٩٧٥، إلى ٢٪ سنة ١٩٨٩).<sup>(٢٥)</sup> وبدأت وزارة الإسكان والوكالات الحكومية ذات الصلة تتدخل في أعمال البناء، وفي تقديم القروض العقارية، وفي توفير مساحات من أراضي الدولة (التي تشكل ٩٢٪ من أراضي إسرائيل، وهي نسبة عالية جداً بالمعايير الغربية، ولو أن نصف تلك المساحات موجود في منطقة النقب الشبيهة بالصحراء، حيث عدد السكان قليل جداً). وكانت الحجة لهذا التدخل، أن مقاولي القطاع الخاص لم يكونوا يستطيعوا توفير الأموال أو إيجاد الأراضي اللازمة لهذا النوع من المشاريع الكبرى



التي تتطلع إليها الحكومة، لو لم تكن الدولة تسيطر على معظم الأراضي في البلد.<sup>(٢٦)</sup> وهكذا، قفزت مشاريع البناء من معدل قدره ١٠٠٠ وحدة سكنية سنة ١٩٨٩ إلى ١٢٠,٠٠٠ وحدة خلال السنتين الأوليين من الهجرة من اتحاد الجمهوريات المستقلة. وبالتزامن مع ذلك، عادت الحكومة إلى اتباع السياسة الرامية إلى توزيع السكان في المناطق الواقعة في الأطراف: الجليل، والنقب، والقدس، أي المناطق التي تقع على الحد الفاصل بين إسرائيل والأراضي المحتلة.

ويعود تاريخ هذه السياسة إلى قيام الدولة نفسها. فالجهود المبذولة لبناء "مدن تطوير" في منطقة الجليل ذات الأغلبية العربية، وفي مناطق النقب الخالية، كانت، في البداية، تدبيراً أمنياً. أما اليوم، فإنها تقوم على تبريرات اقتصادية يقدمها القائمون على عملية التخطيط، الذين يرون أن تمركز أكثرية سكان إسرائيل في الشريط الساحلي الضيق، الممتد على مسافة ٨٠ كلم إلى الشمال والجنوب من مدينة تل أبيب، أمر باهظ التكلفة<sup>(٢٧)</sup> [...] لذا، أنشئ نحو ٦٠٪ من الوحدات السكنية الجديدة في مناطق الأطراف، مع تقديم حوافز وتسهيلات إلى المشترين هناك.

وفي الوقت نفسه، بدئ العمل على سياسة "الاستيعاب المباشر". وهذا يعني تقديم مساعدة مالية إلى القادمين الجدد، والسماح لهم بإيجاد المسكن الدائم والعمل حيثما أرادوا، كما كان الأمر في الأعوام الأخيرة، حين كانت أعداد المهاجرين متدنية، بدلاً من إسكانهم في "مراكز استيعاب". وقد نشأ التفكير في هذه السياسة بهدف تشجيع المهاجرين على تدبير أمورهم بأنفسهم، والاندماج في المجتمع القديم، بدلاً من ازدياد اعتمادهم نفسياً على السلطة وانعزالهم عن بقية السكان.

وقد وفر ازدهار سوق البناء فرص عمل (للإسرائيليين القدامى وللمهاجرين على السواء)، كما ساهم في تطوير قطاع بقي متأخراً في مجال التكنولوجيا (بسبب استخدام العمالة العربية الرخيصة من الأراضي المحتلة). لكن لم توظف في مناطق الأطراف استثمارات معادلة من أجل إيجاد فرص عمل، وخصوصاً في صناعة تلائم مهارات المهاجرين. وهذا ما جعلهم يتجمعون، في معظمهم، في الشريط الساحلي المكتظ بالسكان حيث توجد أغلبية فرص العمل المتاحة، وحيث الأصدقاء والأقارب من المهاجرين السابقين، الذين يمكن أن يساعدوا القادمين الجدد على التكيف وفق النظام الإسرائيلي بصورة أفضل. وقد وجد ٦٠٪ من مهاجري اتحاد الجمهوريات المستقلة مساكن للإيجار بمحاذاة الساحل.

وفي حين لم يبق أحد من نصف مليون مهاجر بلا مسكن - وهذا إنجاز كبير في حد ذاته - فإن هدف توزيع السكان لم يتحقق. فالحوافز والتسهيلات السكنية في مناطق الأطراف، استفاد منها الإسرائيليون القدامى بصورة أساسية، بينما فضل

المهاجرون العيش في أماكن شديدة الاكتظاظ في المدن الكبرى، والبقاء متجمعين معاً، الأمر الذي اضطر الحكومة إلى إعادة شراء نحو ٤٠٪ من الوحدات السكنية في مناطق الأطراف، كمساكن للإيجار.<sup>(٢٨)</sup>

ويقتصر عدد الذين اشتروا مساكن حتى الآن على ربع المهاجرين فقط. وبينما حصل نحو ثلث عائلات المهاجرين الجدد على قروض عقارية متاحة للمهاجرين، فإن أقل من ٥٪ حصلوا على مساكن مدعومة بمساعدة من الحكومة (يقع معظمها في مناطق الأطراف)، بينما بقي نحو ربع المهاجرين في مساكن مؤقتة. ومعظم هؤلاء يقيم بالإيجار بمساكن يملكها القطاع الخاص، بينما تقيم أقلية ضئيلة - مهاجرون فرصهم ضئيلة في الحصول على عمل وفي الاندماج، وكثيرون منهم مسنون أو مصابون بأمراض مزمنة - بمساكن جاهزة (متنقلة)، أقيمت سريعاً على أطراف البلدات في الشمال والجنوب، ويقوم بها أيضاً ١٤,٠٠٠ يهودي إثيوبي هاجروا في الفترة نفسها.<sup>(٢٩)</sup> ومع أن بعض المهاجرين الذين اختاروا العيش في مساكن متنقلة فعلوا ذلك كي يتمكنوا من توفير مواردهم، فهناك خطر من أن تتحول هذه المساكن المؤقتة إلى مساكن دائمة، تشبه الـ "معبّوت" أو المخيمات المؤقتة القديمة، التي كانت لعنة سلطات الشؤون الاجتماعية في إسرائيل في أثناء الهجرة الجماعية من شمال إفريقيا وأوروبا الشرقية في الخمسينات.

وقد أوجد "الاستيعاب المباشر" سوقاً منقطعة النظير للمساكن المعدة للإيجار. إن إسرائيل أمة من مالكي البيوت في بلد تُعتبر العقارات فيه أفضل استثمار ممكن، والانتقال للعيش في مكان آخر محدود، لأن المهاجرين يفضلون البقاء في الأماكن التي يرسلون إليها، أو يختارون العيش فيها. والبلدات اليهودية جديدة، وتتوفر قروض عقارية تلائم جميع الفئات تقريباً، وهناك ميل لدى الإسرائيليين المولودين في إسرائيل، في معظمهم، إلى الشروع في الادخار لأطفالهم منذ ولادتهم كي يشتروا مساكن لهم.

وقد نجم عن هذا الوضع التآجيري تطور جديد، لم يلق اهتماماً كبيراً من علماء الاجتماع في البلد: علاقة جديدة بين اليهود الشرقيين القدامى، من الطبقة العاملة، والطبقة الوسطى الجديدة القادمة من شمال إفريقيا، وبين المهاجرين من اليهود الغربيين. لقد كانت سياسة الحكومة في الأعوام الأولى من قيام الدولة تقوم على توفير مساكن رخيصة لجميع المهاجرين في "مدن التطوير" الصغيرة أو في ضواحي الطبقة العاملة في المدن الأكبر حجماً. ومن الإنجازات الشعبية الكبرى لحكومة الليكود اليمينية في السبعينات برنامج "مشروع التجديد" ("Project Renewal") الذي أتاح للطبقة العاملة الإسرائيلية، ومعظمها من شمال إفريقيا أو من أصول شرق أوسطية،

تحسين تلك الشقق السكنية أو البيوت وتوسيعها. ومع ازدهار أوضاع اليهود الشرقيين، وإقدام بعضهم على شراء شقق سكنية جديدة، أعلنت الحكومة حسومات ضرائبية لمصلحة من يؤجر مساكن للمهاجرين، وأصبح كثيرون من الشرقيين مالكي عقارات للإيجار. ولما كان المهاجرون الجدد في تل أبيب غير قادرين على دفع الإيجارات في المناطق المرغوب فيها في وسط المدينة وشمالها، فقد ذهبوا إلى المناطق التي أخلاها مؤخراً مهاجرو الخمسينات، الأمر الذي ساهم في "ترقية" مناطق الأسواق المتدنية جنوبي تل أبيب ويافا.<sup>(٣٠)</sup> وفي مدن التطوير الصغيرة، حيث أكثرية السكان من شمال إفريقيا، وحيث هم يسيطرون على معظم البلديات، أصبح اليهود الشرقيون المضطهدون سابقاً في وضع يشعروهم بالرضا، باعتبارهم أصبحوا، بدورهم، سادة بين الغربيين القادمين من روسيا.<sup>(٣١)</sup> وبما أن هذه المدن الصغيرة تفتقر دائماً إلى المهنيين المحترفين، فقد أثبت المهاجرون الجدد، في بعض الحالات، أنهم نعمة كبرى لتلك المدن. وقد أعرب الطرفان في الكثير من هذه المدن عن رضاهم، ولو في المدى القريب على الأقل. لكن المشكلة هي عدم رضا المهاجرين عن مستوى المدارس المحلية، فيما يتعلق بتدريس العلوم والرياضيات مثلاً، وهذه مشكلة يمكن معالجتها بتوظيف معلمين من المهاجرين أنفسهم.

وإذا كان المهاجرون من الاتحاد السوفياتي سابقاً أكثر بطناً من أسلافهم في التحول إلى مالكين لبيوتهم، فإن ذلك ربما يعود إلى الظروف التي كونت ذهنيتهم في مرحلة مبكرة. فظواهر الاستلاف، والقروض الطويلة الأجل التي يجب تسديدها، وقبول العيش في ظل الديون، كلها ظواهر غريبة بالنسبة إلى المهاجرين من الاتحاد السوفياتي سابقاً.

ونتيجة الإقبال الكثيف على المدن الساحلية حيث الإيجارات مرتفعة، فإننا كثيراً ما نجد عائلتين أو أكثر تتقاسم شقة صغيرة واحدة. وقد بينت دراسة، أُجريت مؤخراً، أن أكثر من ٦٢٪ من أفراد العينة التي شملتها الدراسة يعيشون مع مهاجرين غير أقرباء لهم. ويحصل الكثيرون على قروض عقارية بالمشاركة مع عائلات أخرى، الأمر الذي يطيل أمد الوضع الراهن.<sup>(٣٢)</sup> وهذا من سخريات القدر، لأن أحد أسباب الهجرة من اتحاد الجمهوريات المستقلة كان، تحديداً، نقص المساكن في المدن الكبرى، نتيجة عجز السوفيات عن البناء بما فيه الكفاية بعد الحرب العالمية الثانية. وفي المقابل، فإن كثيرين من المهاجرين الذين قد يفتقرون إلى القدرة على المحافظة على أبسط خصوصياتهم في بيوتهم، اشتروا سيارات، مستفيدين من الحسومات الضرائبية المتاحة للمهاجرين فقط. وحتى في المواقع السكنية الموقته، وهي أكثر مستوطنات المهاجرين وحشة، هناك الكثير من السيارات اليابانية الجديدة الزاهية اللون، تقف أمام البيوت الجاهزة المتنقلة التي لا تزيد مساحة كل منها على تسعة أمتار مربعة.

وفي تل أبيب، بينت دراسة أنه بينما يتقاسم ثلثا المهاجرين مساكنهم مع آخرين، فإن ثلثهم يمتلك سيارات. (٣٣) ولا يدرك الإسرائيليون القدامى الذين ينتقدون هذا السلوك أن امتلاك سيارة في الاتحاد السوفياتي يتطلب مجموع الرواتب التي يكسبها المرء طوال حياته. لكن هناك مشكلة لم ينتبه إليها الكثيرون من المهاجرين، وهي أن أولئك الذين يستفيدون من الامتياز الضرائبي في شراء السيارات أو سواها من البضائع الاستهلاكية، يخسرون حقهم في تعويضات البطالة. وهذا مجرد واحد من عدد من القواعد والأنظمة التي تحير المهاجر الجديد، الذي تهطل عليه الامتيازات ويبهظ كاهله بالأعباء الجديدة في الوقت نفسه.

و"الاستيعاب المباشر" يعني أيضاً أن المهاجرين الجدد، في النهاية، يفقدون حقهم في التمتع بالخدمات الخاصة التي أُتيحت لهم في "مراكز الاستيعاب" سابقاً، وأنهم الآن يحصلون على خدمات مماثلة لتلك المقدمة إلى السكان القدامى في إطار المنظمات البلدية. وقد تبين أن ذلك يشكل مشكلة بالنسبة إلى المهاجرين، لأن معظمهم لا يعرف مهمات مكاتب العمل ومؤسسات الخدمات الاجتماعية، كما لا يعرف أن خدمات الشؤون الاجتماعية تقدمها الدولة أو السلطة المحلية، لا في موقع العمل، كما هي الحال في الأغلب في الاتحاد السوفياتي. لذا، بدلاً من مساعدة المهاجرين على تحرير أنفسهم من الاعتماد على السلطة، أدى الاستيعاب المباشر في حالات كثيرة إلى عدم القدرة على الاندماج في المجتمع، وإلى ازدياد الحاجة إلى مساعدة نفسية. فقامت جمعيات طوعية كثيرة من الإسرائيليين القدامى بمساعدة المهاجرين على التعامل مع البيروقراطية الإسرائيلية، وساهمت هذه بالتعاون مع "مؤسسات" الاستخدام والمنظمات الاستشارية، في مساعدة المهاجرين على الانتقال الصعب من سوق الاقتصاد الخاضع للسلطة، إلى الاقتصاد الحر. (٣٤) وأصبح التوجيه والإرشاد ضروريين لمساعدتهم على تطوير قدراتهم في مجال المبادرة الفردية، التي كانت مستحيلة أو لا معنى لها في سياق الاقتصاد السوفياتي. (٣٥)

### سياسة الاستخدام والتوظيف

في مقابل تدخل الحكومة في مسائل الإسكان وتقديم المنافع الاجتماعية كجزء من سياسة "الاستيعاب"، فإن مساهمتها في إيجاد عمل للمهاجرين كانت ضئيلة جداً. فالاستثمار المضاف في مجال الإسكان جاء على حساب إيجاد المزيد من الوظائف في القطر العام. لذا، قامت وزارة التجارة والصناعة باستحداث برامج جديدة لتشجيع استخدام المهاجرين، بما في ذلك تنظيم دورات تعليمية لإطلاع المهاجرين على أساليب العمل الغربية. وتنظم وزارة العمل، بالتعاون مع السلطات الروسية، دورات قبل الهجرة، لنخبة من المهنيين المحترفين الذين يمكن استخدامهم في مجالات

اختصاصهم بعد الهجرة. وتدير وزارة التعليم دورات لإعادة تدريب المعلمين. وهناك برامج أخرى كثيرة، تقوم بتمويلها منظمات غير حكومية، كـ "لجنة التوزيع المشترك الأميركية" (American Joint Distribution Committee). لكن أكثرية المشاريع التي تم تنفيذها خلال الأعوام الأربعة الأخيرة، كانت ضعيفة الصلة جداً بسياسة الحكومة.<sup>(٣٦)</sup> ومجمل القول، إن وضع استخدام المهاجرين هو كما يلي: أولئك الذين أثبتوا قدرتهم الاستثنائية في مجال العلوم النظرية، اختطفتهم الجامعات ومراكز الأبحاث الإسرائيلية، وهم قلة ضئيلة. وفي مجالات معينة أخرى، استقطبت مؤسسات القطاع الخاص مهارات المهاجرين الروس: من أوضح الأمثلة لذلك صناعة برامج الكمبيوتر، حيث تم استخدام مئات من المهاجرين الجدد في الفروع المحلية للشركات العالمية أو في الشركات الإسرائيلية، بحيث ارتفع عدد العاملين في مجال الكمبيوتر في الاقتصاد الإسرائيلي بنسبة ١٠٪ سنة ١٩٩٠ وحدها. وهذه الصناعة مثال صارخ لكيفية استخدام إسرائيل مهارات المهاجرين بتكلفة متدنية، لأنها لا تحتاج إلى استيراد مواد أولية، أو إلى عمالة رخيصة، أو إلى استثمار رؤوس أموال كبيرة.<sup>(٣٧)</sup> لكنه من الجدير بالتذكر أن صناعة التكنولوجيا المتطورة لا تستخدم سوى جزء ضئيل فقط من القوى العاملة في إسرائيل، علماً بأنها تحقق أرباحاً ضخمة في مجال الصادرات.

وفي الجانب الآخر من طيف العمالة والاستخدام، تتضح مشكلة الأطباء الروس. ولا تقتصر هذه المشكلة على ارتفاع عدد الأطباء قياساً بعدد السكان فقط، بل إنها تتجاوز ذلك أيضاً إلى كون النظام الصحي السوفياتي يشمل مؤسسات ومراكز مجهزة بأحدث المعدات المتطورة، وحقق إنجازات مدهشة في مجال الأبحاث الطبية. إلا أن الرعاية الطبية الأولية، ومستوى المستشفيات، كانا أدنى كثيراً مما هو عليه الحال في إسرائيل، من حيث التجهيزات والمرافق الصيدلانية والمادية. وربما كان هذا هو السبب في أن كثيرين من المهاجرين الأطباء هم مهرة في الطب البديل (alternative medicine)، الذي هو في مستهل نشأته في إسرائيل، وفي مجالات أخرى مثل، التدليك الطبي، والعلاج بالإبر، والعلاج الطبيعي.<sup>(٣٨)</sup> وقد أعادت المؤسسات الطبية تدريب أعداد من الأطباء السوفيات، حتى إنها سمحت بإجراء امتحانات تأهيلهم باللغة الروسية. لكن الكثيرين من الأطباء المتخصصين اضطروا إلى أن يعملوا أطباء عامين، أو تقنيين، أو ممرضين أو مساعدين طبيين.<sup>(٣٩)</sup>

وتقع الأكثرية الساحقة من مهاجري اتحاد الجمهوريات المستقلة بين هذين النقيضين المتباعدين. والمشكلة الأولى التي يمثلها هؤلاء بالنسبة إلى أرباب العمل، هي تحديد فائدة ومستوى ما يزعمون أنه اختصاصهم. فمن السهل تقويم خريجي المراكز الجامعية الكبرى في روسيا، لكنه أقل سهولة تقويم خريجي المعاهد التكنولوجية الريفية، والأقل من ذلك تقويم الآلاف الذين ربما حصلوا على تأهيلهم من

خلال الدراسة بالمراسلة في بعض الأماكن النائية من الإمبراطورية السوفياتية. ويجد الكثير من المهاجرين صعوبة في تحديد مهاراتهم بوضوح لأرباب العمل الإسرائيليين. فمعظمهم لا يعرف كيف يكتب سيرته العلمية - المهنية، وبعضهم ترك وراءه إنجازات لا يمكن حملها أو توضيحها (كمهندسي البناء والمناجم)، أو مهارات لا يستطيع إثباتها في إسرائيل، ومثل هؤلاء جميعاً يقدم إلى أرباب العمل أوراقاً و"شهادات" يصعب تقدير قيمتها الفعلية. وأفضل فرصة أمام المهاجرين هي الإفادة من مهاراتهم للعمل في السوق الحرة. لكن في هذا المجال، تحديداً، يشكل افتقارهم إلى الخبرة بالقطاع الخاص وذهنيتهم المتكونة في ظل النظام السوفياتي، عاملين معوقين.

كان النظام السوفياتي يقرر المهن التي ينبغي للتلامذة في المدارس الابتدائية التوجه نحوها، وفقاً لقدراتهم ومواهبهم. ثم يجري تدريبهم وإحالتهم على مواقع العمل، حيث يبقون طوال حياتهم، ويحصلون على نوع من خدمات الشؤون الاجتماعية لأنفسهم ولعائلاتهم. ومن هنا تنبع صعوبة تحدي البحث الفعلي عن فرصة عمل، والاستجابة للإعلانات، وتقديم طلبات العمل، والأهم من ذلك كله، الخيال والمرونة في ملاءمة جوانب معينة من تدريبهم مع الوظيفة الجديدة المتاحة. واستناداً إلى إحدى الدراسات، تبين أن ثلث المهاجرين يريد أن يؤسس مشاريع أعمال صغيرة لنفسه، لكن ٧٪ منهم فقط فعلوا ذلك في الواقع.<sup>(٤٠)</sup> ومن المفارقات أنه أسهل على المهاجرين أن يقبلوا أعمالاً أدنى كثيراً من قدراتهم، من أن يدخلوا عالم المشاريع الحرة والمنافسة المخيف. ومن نواح كثيرة، فإن التحديات التي تواجه المهاجرين في إسرائيل، توازي تلك التي يواجهها المواطنون في دولة ما بعد النظام الشيوعي.<sup>(٤١)</sup>

أما الوضع بالنسبة إلى النساء، فهو أكثر صعوبة. فالنسبة المئوية للنساء في القوى العاملة الروسية كانت أعلى كثيراً مما هي في إسرائيل. وفضلاً عن ذلك، فإن النساء في إسرائيل (باستثناء قلة متعلمة تعليماً عالياً تعمل في الجامعات والأجهزة القضائية) يفضلن مزاولة أعمال "خاصة بالمرأة" كالتعليم ورعاية الأطفال، بينما عملت النساء السوفياتيات في مجالات كثيرة ومتنوعة، بما فيها جميع فروع الهندسة.<sup>(٤٢)</sup> وتجدر الإشارة إلى أن النساء المهاجرات من اتحاد الجمهوريات المستقلة شكّلن إحدى الجمعيات النادرة لمساعدة بعضهن البعض في مواجهة الهجرة الراهنة. وفي إسرائيل، حيث من المتعارف عليه أن الرجل هو المعيل الأساسي للعائلة، فإن الرجال هم الذين استفادوا من برامج إعادة التدريب، وتركوا النساء يبحثن عن فرص العمل حيثما استطعن. وفي مرحلة ما، عملت النساء المهاجرات، في معظمهن، في الخدمة المنزلية في إسرائيل - وهو عمل مهين في نظر المهاجرين، الذين لا يستطيعون

قبول رؤية أنفسهم في فئة اجتماعية - اقتصادية تقوم بأعمال يدوية لا تحتاج إلى مهارة.

ويتكون معظم العائلات من أسر ذات معيل واحد، أي من أم وطفل واحد، وهي نتيجة نسبة الطلاق المرتفعة في الاتحاد السوفياتي. ولم يكن لمثل هذه العائلات حصة محددة في مجال الإسكان، كما أن الاقتصاد الإسرائيلي والنظام التعليمي جعلاً من الصعب على أمهات الأطفال الصغار أن يعملن دواماً كاملاً. ففي الاتحاد السوفياتي، كان لدى كثير من المشاغل والمؤسسات الصناعية مرافق وتسهيلات للعناية بالأطفال، لكن الوضع مختلف في إسرائيل، حيث الدوام المدرسي ينتهي قبل دوام العمل.<sup>(٤٣)</sup> والأمهات الإسرائيليات العاملات يدفعن، في الغالب، كل رواتبهن أو معظمها لتوفير الرعاية الخاصة لأطفالهن وهم صغار. وهذا أمر يستعصي على المهاجرين فهمه، لأن أحداً منهم لم يسبق له أن استخدم أي نوع من المساعدة المنزلية. وبعبارة أخرى، وبعبارة الإسرائيليين القدامى، يقيم الجد والجدّة مع المهاجرين، ويفضلان مشاركة عائلتهما مسكنها المكتظ على التمتع بمرافق بيوت المسنين، وهذان أيضاً يساعدان في الاعتناء بالأطفال.

وأقل الفئات حظاً في سوق العمل هم أولئك الذين تتراوح أعمارهم بين ٤٥ و ٦٥ عاماً، وخصوصاً أولئك الذين بلغوا العقد الأخير من حياتهم العملية.<sup>(٤٤)</sup> فأرباب العمل يرفضون أن يستخدموا أناساً لم يبق من حياتهم العملية سوى فترة قصيرة، مهما تكن خبراتهم ومهاراتهم، فضلاً عما ينطوي عليه استخدامهم من مدفوعات للضمان الاجتماعي وبرامج التقاعد. لذا، أصبح الكثيرون من ذوي الخبرات المفيدة للقوة العاملة عاطلين عن العمل.

ويرى بعض منتقدي الاقتصاد الإسرائيلي أن مجمل مشكلة القوة العاملة المهاجرة مرتبطة بالحاجة إلى المزيد من المشاريع الخاصة (الكثير من الصناعات الأساسية في إسرائيل لا تزال خاضعة للحكومة)، مع حد أدنى من تدخل الحكومة في الاقتصاد، الأمر الذي يتيح لقوى السوق حرية الحركة والتصرف. ففي الماضي، كانت الحلول الحكومية من أجل العاطلين عن العمل مقتصرة على تشغيل المهاجرين غير المهرة في مشاريع مؤقتة القصد منها مساعدتهم. وحالياً اقترح وزير العمل حتى توفير أعمال موسمية لهم في غابات البلد ومواقعها الأثرية. وهذا ما سماه أحد الخبراء في انتقاد لاذع: "اقتصاد الأكشاك".<sup>(٤٥)</sup>

وفي أية حال، إن البيئة الإسرائيلية غير مشجعة للراغبين في إقامة مشاريع عمل صغيرة لهم، وخصوصاً فيما يتعلق بقوانين الضرائب الخاصة بالأعمال الحرة. فالتعقيدات التي ترافق إقامة مشروع عمل صغير، والبيروقراطية الحكومية، لا يحتملها حتى الإسرائيليون القدامى. وبالتالي يصبح من شبه المستحيل تجاوز الصعوبات بالنسبة إلى مهاجر جديد من اتحاد الجمهوريات المستقلة، ليس لديه معرفة

بأمور التسويق، وبنظام الضرائب، وبقوانين الشركات، وبتصنيفات المناطق، وبسواها من العوامل الكثيرة المتداخلة في إقامة أي مشروع عمل، ومع ذلك فقد وجد عدد من المهاجرين مجالاً لهم في الأعمال الحرة. وبينت دراسة أُجريت مؤخراً أنه بينما فشلت مكاتب العمل الرسمية في إيجاد وظائف ملائمة للمهاجرين، فإن أصدقاءهم وأقرباءهم كانوا أكثر نجاحاً، الأمر الذي يشير إلى ازدياد نوع من شبكة المعلومات والاستعلامات بين المهاجرين.<sup>(٤٦)</sup> وقد استحدثت وزارة الاستيعاب مؤخراً برنامج قروض لتمكين الراغبين في إقامة مشاريع عمل من مباشرتها في أجواء محمية. وهناك تطور واعد، كما يبدو، ظهر في إطار السلطات المحلية، حيث عمدت هذه إلى إنشاء ورعاية عدد من المشاريع الرائدة على هيئة "ورشات عمل"، ينصب التركيز فيها لا على القروض المالية، وإنما على إمداد المهاجرين بالمهارات اللازمة لإيجاد عمل لهم بأنفسهم.<sup>(٤٧)</sup> لكن من غير الممكن الجزم أن النفع من مثل هذه المشاريع قد يمتد إلى القوى العاملة الأساسية من دون إعادة تنظيم جذرية للاقتصاد الإسرائيلي.

### آلام التأقلم

يعاني جميع المهاجرين صدمة ثقافية. فالهجرة من مجتمع ديكتاتوري واقتصاد مقنن إلى ديمقراطية "رأسمالية" حديثة، ومن وضع أقلية إثنية إلى العيش في دولة يهودية، هي نقلة قاسية بصورة خاصة، ذات انعكاسات سلبية وإيجابية على الاندماج في المجتمع الجديد. فبالإضافة إلى المشكلات الأساسية المتمثلة في إيجاد المسكن والعمل، واجه المهاجرون مشكلات أخرى بشأن هويتهم اليهودية، وجهلهم النسبي للتقاليد والعادات اليهودية، مع تعرض شبابهم لمجتمع متساهل، وخال أيضاً من الاحترام الفطري للمسنين. وربما كان الأكثر إرباكاً من كل ذلك هو أن "النخبة الفكرية" في هذا المجتمع لا تتمتع بأي وضع خاص.

إن قانون العودة الذي صيغ في الأعوام الأولى من قيام الدولة، حين كان في أذهان المشرعين الأحداث التي أدت إلى المحرقة، حاول أن يقلب قوانين نورمبرغ النازية، إذا جاز التعبير. فإذا كان النازيون قد اضطهدوا المتحدرين من جد يهودي، فقد قرر الإسرائيليون أن أي شخص يثبت أنه على صلة قريبي وثيقة بيهودي ضمن مدة تغطي ثلاثة أجيال، يمكنه أن يصبح مواطناً في الدولة. لكن هذه السياسة تتعارض مع التعريف الحاخامي لليهودية، الذي يؤكد أن المولودين لأم يهودية هم فقط يهود، وذلك استناداً إلى الهالاخاه، أي الشريعة الحاخامية وتطبيقاتها. وتؤكد إحدى الدراسات أن ٢٠٪ من زيجات المهاجرين غير معترف بها لدى الحاخامية.<sup>(٤٨)</sup> والقانون الديني هو الذي يحكم تسجيل المهاجرين لدى وزارة الداخلية (وهي حقيبة تشغلها تقليدياً أحزاب سياسية "دينية"). ولأسباب واضحة، لا توجد إحصاءات رسمية



بشأن أعداد المهاجرين غير اليهود، إمّا لأنهم تزوجوا من فرد من عائلة يهودية في قس مدني (ليس هناك زواج مدني في إسرائيل)، وإمّا لأن يهوديتهم لا تتطابق مع المعايير الحاخامية (الأبناء لأب يهودي ولأم غير يهودية). ويقدر ذوو الخبرة من مسؤولي الاستيعاب أن عدد هؤلاء يشكل ٣٠٪ من مجموع عدد المهاجرين.

وبغض النظر عن السؤال عمّا إذا كان يمكن للدولة اليهودية أن تصبح تعددية بالمفهوم الأوسع، هناك عدد من المشكلات التطبيقية تبدأ مع تسجيل مثل هؤلاء المهاجرين باعتبارهم "روساً" لا "يهوداً".<sup>(٤٩)</sup> والزوج "الروسي" ليهودية أو الزوجة "الروسية" ليهودي يمكن أن يصبحا مواطنين تلقائياً (وهذا لا ينطبق على الأقرباء البالغين للشريك غير اليهودي). والطفل (القاصر) لأم غير يهودية يحصل على جميع تقديمات الدولة، كالرعاية الصحية المجانية إذا كانت الأم مسجلة في أحد البرامج الصحية في البلد، وكالتعليم المجاني. لكن مثل هؤلاء المواطنين لا يمكنه أن يتزوج إسرائيلية يهودية في إسرائيل (حيث لا تزال الزيجات خاضعة للسلطات الدينية)، كما لا يستطيع العمل في صناعة متصلة بالأمن.

وهذه أمور تزعج أولئك المهاجرين الذين اعتبروا أنفسهم دائماً يهوداً. إن بعض المهاجرين الذكور يجري عمليات ختان متأخرة، لكن إذا لم يحدث تهويد جماعي، فإن هؤلاء المهاجرين وأبناءهم غير اليهود، أو غير المقبولين كيهود بموجب المعايير الأورثوذكسية، لن يستطيعوا، كما يبدو، بسبب أعدادهم الكبيرة، أن يتزوجوا من إسرائيليين آخرين في إسرائيل في ظل الترتيب الديني الحالي. وهذا قد يعجل إقرار الزواج المدني.

باستثناء هذا الوضع المجافي لروح العصر (anachronism)، فإن إسرائيل هي مجتمع غربي علماني، ومتساهل إلى أبعد الحدود، يتمتع فيه الأطفال والشباب بمكانة متميزة (نظراً إلى أهميتهم المستقبلية كمجندين في الجيش، وبسبب الأخطار الدائمة على الشباب في الحروب). أمّا العائلات السوفياتية سابقاً، فقد جاءت من مجتمع استبدادي وسلطوي، حيث كلمة الآباء والمعلمين هي القانون، وحيث اعتماد الأبناء المراهقين على آبائهم أكثر كثيراً ممّا هو في إسرائيل.<sup>(٥٠)</sup> إن الآباء المهاجرين حيثما كانوا يفتقدون، في الغالب، سلطتهم على أطفالهم الأكثر تكيّفاً وفق المجتمع الجديد، والذين يتعلمون اللغات الجديدة ويقلدون زملاءهم بصورة أسرع. وفي إسرائيل، حيث المجتمع يعير الشباب أهمية خاصة، وحيث مجموعة الزملاء توازي العائلة في أهميتها، تكون المرحلة الانتقالية حادة وسريعة بصورة خاصة. وهنا تضافت المشكلات الطبيعية للمراهقة مع مشكلات الهجرة. فقد أبعده المهاجرون أبناءهم عن بيوتهم ومدارسهم وأصدقائهم من دون أن يستشيروهم في ذلك.<sup>(٥١)</sup> ويجد هؤلاء الأبناء الذين تربوا على احترام جميع أنواع السلطة، وخصوصاً سلطة المعلمين،

أنفسهم، اليوم، في صفوف صاخبة ومفهمة بالضجيج، ويسمعون زملاءهم ينادون المعلمين بأسمائهم الأولى، وليس حولهم سوى الحد الأدنى من الانضباط والنظام. أما المنهج المدرسي، الذي يركز على الدراسات التوراتية والآداب العبرية، فقد وضع الكثيرين من الطلبة الأذكياء في وضع غير متكافئ مع وضع زملائهم.

إن الالتحاق بالجيش جزء أساسي من العيش في إسرائيل، وعنصر أساسي في الانتماء إلى المجتمع. لكن خدمة الجيش في الاتحاد السوفياتي سابقاً، تركت في أذهان بعض هؤلاء المراهقين صورة سلبية، مقرونة بمحنة القتال في أفغانستان، وبإخماد التحركات العرقية. وأخطر مظاهر الاستلاب لدى الشباب، التي استلزمت الرعاية والمعالجة من علماء النفس والباحثين الاجتماعيين، هي حالات جنوح الأحداث وبغاء المراهقات بين المهاجرين. ومع أن التغطية الجدية في وسائل الإعلام ضعيفة فيما يتعلق بمشكلات المهاجرين، فإن وفاة شخص أو اثنين من المشردين المدمنين على الكحول، تصلح في نظر هذه أن تكون عنواناً رئيسياً، شأنها شأن مشاركة بضع عصابات من المهاجرين في نشاطات العالم السفلي في تل أبيب. وفي فترات الهجرات الجماعية السابقة، كان هناك اتفاق غير مكتوب بين الصحافيين على عدم ذكر الأصول الإثنية في التقارير عن الجرائم بين المهاجرين. لكن الصحافة الشعبية أصبحت اليوم أقل التزاماً بالاتفاق، الأمر الذي أثار استياء كبيراً بين المهاجرين.

ويحاول علماء النفس والأطباء النفسيون الإسرائيليون، ومنهم كثيرون من القادمين من الاتحاد السوفياتي في السبعينات، معالجة بعض المشكلات الحتمية للمرحلة الانتقالية. إلا أنه من العناصر التي أعاققت تدخلهم أن أطباء الأمراض النفسية في الاتحاد السوفياتي كانوا يمثلون السلطة، كجزء من نظام عقابي بدلاً من النظام العلاجي. لذا، أصبح الأطباء النفسيون، ومسؤولو الشؤون الاجتماعية، والضباط الموكل إليهم أمر مراقبة المساجين المفرج عنهم على سبيل التجربة (وظيفة غير مألوفة في الاتحاد السوفياتي)، موضع شك وارتياب. ويلاحظ الأطباء النفسيون الإسرائيليون أنه في حين يستطيع المهاجرون ملاحظة علامات الاضطراب العقلي، فإن استعدادهم للتسامح مع السلوك المنحرف و"المعادي للمجتمع" ضعيف جداً.<sup>(٥٢)</sup> لذا، فإنهم، في الغالب، قد يترددون في طلب المساعدة. وفي أثناء حرب الخليج، في ذروة الهجرة الجماعية سنة ١٩٩٠، تم استحداث عدد من "الخطوط الساخنة" لاستقبال المكالمات من المهاجرين الجدد المذعورين أو المشوشين، لكن لم يستقبل سوى عدد قليل من المكالمات، وكثيرون ممن اتصلوا كانوا قلقين على مشكلات العمل والسكن أكثر من خوفهم من القصف. وقد صرح الباحثون، في أية حال، أن العيش في إسرائيل في أثناء الأزمة القومية، أعطاهم الشعور بالانتماء إلى مجتمع داعم لهم.<sup>(٥٣)</sup>

على الصعيد الإيجابي، حقق الانتقال إلى إسرائيل مكسباً واضحاً للفتيات

الشابات خاصة: التثقيف المتصل بضبط النسل. فالتربية الجنسية في المدارس مفهوم جديد بالنسبة إلى المهاجرين.<sup>(٥٤)</sup> ففي الاتحاد السوفياتي، كان الإجهاض هو الوسيلة الأساسية لاعتراض الحمل. وقد بينت الأبحاث الإسرائيلية أن الكثيرين من النساء المهاجرات في سن الحمل قد خضعن لأكثر من عملية إجهاض في أوضاع سيئة. وبسبب النفوذ السياسي للمتدينين الأورثوذكس (الذين يعارضون مبدأ تنظيم الحمل، كالكاثوليك)، لا توجد في إسرائيل خدمات حكومية لتنظيم الأسرة. لكن الجمعية الرئيسية لتقديم المشورة، شيلو، إضافة إلى مكاتب يشرف عليها بعض النساء والأزواج على السواء، تدير برنامجاً واسع النطاق، وتدعي أنها حققت نجاحاً كبيراً في توعية النساء المهاجرات وتثقيفهن. وتخطط اللجان العامة التي تقوم بفحص المرشحات للإجهاض المقنن في المستشفيات لمواجهة زيادة كبيرة في طلبات الإجهاض في إثر الموجة الحالية من الهجرة من اتحاد الجمهوريات المستقلة.<sup>(٥٥)</sup>

### الأثر الثقافي والحضاري

منذ هجرة اليهود من ألمانيا في الثلاثينات، لم تأت موجة من المهاجرين لديهم مثل هذا الاعتزاز بثقافة بلدهم الأصلي وحضارته، ومثل هذا العزم على الاحتفاظ بتلك الثقافة والحضارة - على الرغم من الاضطهاد الذي ربما كانوا تعرضوا له هناك. ولا يمكن المقارنة بين المجموعتين من المهاجرين من حيث مكانتهما في إسرائيل لأن الألمان، حتى سنة ١٩٣٩ على الأقل، استطاعوا أن يجلبوا معهم رؤوس أموال، وأسسوا في بعض الحالات مشاريع أعمال وأوجدوا صناعات، أي أنهم قدموا مساهمة فورية مهمة في الاقتصاد الحديث الولادة في فلسطين قبل قيام الدولة، كما أنهم أدوا دوراً رئيسياً في تسيير عمل الجامعة الجديدة والنظام التعليمي إجمالاً. أما المهاجرون من اتحاد الجمهوريات المستقلة، فلم يجلبوا معهم شيئاً سوى صناديق من الكتب. ومع ذلك فإنهم بدأوا يساهمون لا في المجال العلمي فقط، بل أيضاً في الفنون والحياة الرياضية.

لقد رفع المهاجرون الموسيقيون مستوى الفرق الموسيقية الإسرائيلية وعددها. واستأثر الروس بتعليم الموسيقى في البلد، على الرغم من وجود فائض من معلمي العزف على البيانو يضاهي فائض الأطباء.<sup>(٥٦)</sup> ويدرس الروس أيضاً في المعاهد المسرحية، وقد حققوا نجاحاً كممثلين ومخرجين ومدربين لراقصي الباليه يحاكي نجاح الجيل الأول في المسرح الوطني الإسرائيلي، هابيم، الذي كان جميع أبطاله من الروس المدربين في استديوهات ستانيسلافسكي وفاغتنغوف. ولم تحصد شركة "غيشر" (الجسر)، المكونة من مهاجرين، أرفع جوائز البلد للمسرح والتمثيل (بالروسية والعبرية بالتناوب في أمسيات مختلفة) فحسب، بل شاركت أيضاً في مهرجانات دولية

في أميركا وأوروبا، وحظيت بتقدير كبير.

وسيرفع المهاجرون الرياضيون كذلك مستويات التدريب الجسماني في بلد لم يعرف رياضة أكثر شعبية من مشاهدة مباريات كرة القدم على شاشة التلفاز (والمراهنة عليها). إن الموسيقيين والممثلين يمثلون تقليداً عريقاً من الإنجاز الرفيع يعود إلى عمق التاريخ الروسي، الأمر الذي جعلهم أعضاء في نخبة مميزة في ظل الشيوعية. أما الرياضيون وعلماء الرياضة، شأنهم شأن رواد الفضاء، فقد تمتعوا بالدعم المالي لأنهم عززوا إنجازات روسيا على الصعيد الدولي. ومن السهل على المهووبين في الموسيقى والرياضة الانتقال إلى حيث يشاؤون.

أما بالنسبة إلى الثقافة الأدبية، فقد شكّل المهاجرون نوعاً من الجيب المعزول داخل إسرائيل. فالثقافة الفرعية الروسية الضخمة (إذاعة، وتلفزة، وعشرات الصحف والمجلات)، جعلت من الممكن للمهاجرين أن يعيشوا حياة موازية لحياة الإسرائيليين الناطقين بالعبرية، لكنها منفصلة عنها بالمعنى الثقافي. فالروس الذين يميلون إلى العيش معاً يعملون معاً في الغالب، وينتمون إلى مجموعات أدبية وثقافية تعتمد اللغة الروسية. وهم، في الغالب، لا يجدون حاجة أو حافزاً على دراسة أكثر من العبرية الأساسية. ويعرب الكثيرون منهم عن نفورهم من الطابع "الشرقي" للبلد، ومن فقدان شكليات التهذيب في السلوك اليومي للإسرائيليين، ويرثون لما يعتبرونه عدم وجود "ثقافة"، إذ إنهم، على ما يبدو، غافلون عن الحياة الثقافية الغنية المتاحة للناطقين بالعبرية في المدن الكبرى. كما أنهم غير قادرين، حالياً، على المتمتع بالأدب العبري الحديث، الذي تعود أصوله، في معظمها، إلى الشعر والنثر اللذين كُتبا في أوروبا الشرقية وفي روسيا بصورة خاصة.<sup>(٥٧)</sup> وفي أية حال، ساهم وجود الكثيرين من الناطقين باللغة اليديشية بين الأجيال الكبيرة في السن من المهاجرين (كانت اليديشية في العهود السوفياتية القديمة مقبولة كلغة إثنية يهودية، ومستخدمة في مدارس اليهود)، في إنعاش الثقافة اليديشية التي كانت تحتضر في إسرائيل، وحفز على إعادة إحياء المسرح اليديشي.

[.....]

## الحواشي

(١) Israel Ministry of Immigrant Absorption, *Immigrant Absorption: Present Situation, Problems and Objectives* (Jerusalem, January 1994).

(٢) أنظر مثلاً:

Reuben Gronau, "Absorption of the Mass Immigration in the 1990s: Another Look," *The Economic Quarterly*, Vol. 40, No. 3, October 1993 (Hebrew).

(٣) Karnit Flug et al., "The Absorption of Immigrants into the Israeli Labour Market: Aspects of Occupational Substitution and Retention," in Naomi Carmon (ed.), *Immigrants:*

- Liability or Asset? Innovative Research and Policy Implications*, Collection of Papers Submitted to the International Workshop of Immigrant Absorption (Haifa: Technion, May 1993).
- (٤) Karnit Flug and Nitsa Katsir (Kliener), "Absorption in Employment of Russian Immigrants: A Short Range View," *The Economic Quarterly*, Vol. 40, No. 3, October 1993.
- (٥) Israel Ministry of Immigrant Absorption, *op. cit.*; Flug, *The Absorption of Soviet Immigrants*.
- (٦) Jack Habib et al., "An Updated View of the Ramifications of Immigration of the Costs and Needs of Selected Social Services," *The Economic Quarterly*, Vol. 40, No. 3, October 1993.
- (٧) Elazar Leshem, "The Israeli Population and its Attitude to the Immigrants of the 1990s," *Social Security*, Vol. 40, August 1993 (Hebrew); Roni Ben-Tsur and Yehoshua Hendeles, "Public Attitudes towards Soviet Immigrants," *Economics and Labour*, No. 8, 1992; Aharon Fein, *Processes of Integration Among CIS Immigrants* (Jerusalem: Tazpit Research Institute, May 1992) (Hebrew).
- (٨) Majid Al-Haj, "Soviet Immigration as Viewed by Jews and Arabs: Divided Attitudes in a Divided Country," in Calvin Goldscheider (ed.), *Population and Social Change in Israel* (Boulder: Westview Press, 1992), pp. 89-98; Al-Haj, "The Attitudes of the Palestinian Arab Citizens in Israel towards Soviet Jewish Immigration," *The International Journal of Refugee Law*, Vol. 3, 1991.
- (٩) E. Orchan et al., *Absorption of Russian Immigrants in the Kibbutzim in the Eyes of the Immigrants and the Kibbutz Members* (Haifa: Haifa University, 1992) (Hebrew).
- (١٠) في عينة من ٨١٨ مهاجراً من مختلف أنحاء البلد، ٣٪ فقط اعتبروا أنفسهم يهوداً متدينين. أنظر: Fein, *op. cit.*
- (١١) للاطلاع على دراسة أكثر تفصيلاً للموضوع، أنظر:  
Naomi Shepherd, *The Russians in Israel: The Ordeal of Freedom* (London: Simon & Schuster, 1993).
- (١٢) Myron Weiner, "The Politics of Immigrant Absorption: A Comparative Perspective," in Carmon (eds.), *op. cit.*
- (١٣) Roberta Cohen, "Israel's Problematic Absorption of Soviet Jews," in T. Basok & R.J. Brym (eds.), *Soviet Jewish Emigration and Resettlement in the 1990s* (Ontario, 1991).
- (١٤) Alexander Benifand, "Jewish Emigration from the USSR in the 1990s," in Basok & Brym (eds.), *op. cit.*
- (١٥) Zvi Gitelman, "Recent Demographic and Migratory Trends of Soviet Jewry," *Post Soviet Geography*, Vol. 33, No. 3, 1992; Ephraim Tabory, "Jewish Identity, Israeli Nationalism and Soviet Jewish Migration," *Journal of Church and State*, Vol. 33, No. 2, 1991.
- (١٦) Yoel Florsheim, "Immigration to Israel from the Soviet Union in 1991," *Jews and Jewish Topics in the Soviet Union and Eastern Europe*, Vol. 3, 1992.
- (١٧) Shlomo Hasson, "The Settlement Process of Immigrants from the Former Soviet Union," in Carmon (ed.), *op. cit.*; Benifand, *op. cit.*
- (١٨) قارن بين بنيفاند، الذي يقول إن العدا للسامية هو العامل الأكبر في الهجرة، وبين حاسون الذي يرى أن الاضطراب السياسي في اتحاد الجمهوريات المستقلة، وفقدان الأمن الاقتصادي وما شابههما، هي العوامل الأساسية.
- Hasson, *The Great Wave: Housing Preferences and the Choice of a Place to Live by Immigrants from the Soviet Union, September 1989-May 1991* (Jerusalem: Institute for

- Israel Studies, 1992) (Hebrew).
- Yaacov Ro'i, *The Struggle for Soviet Jewish Emigration 1948-1967* (Cambridge: Cambridge University Press, 1991); Martin Gilbert, *The Jews of Hope: The Plight of Soviet Jewry Today* (London, 1985).
- Israel Ministry of Immigrant Absorption, *op. cit.*; Baruch Nevo et al., *Report on the Absorption of Immigrant Scientists in Israel, March 1991-March 1992* (Haifa: Haifa University, 1992).
- Alexander Voronel, "Aliya of the Jewish Intelligentsia from the USSR," in Tamar Horowitz (ed.), *The Soviet Man in an Open Society* (New York and London, 1989), pp. 125-137.
- Flug and Katsir, *op. cit.* (٢٢)
- Ibid.* (٢٣)
- Y. Golani et al. (eds.), *Planning and Housing in the Wake of Rapid Change* (Tel-Aviv, 1992) (Hebrew).
- Chaim Fialkoff, "Israel's Housing Policy During a Period of Massive Immigration," in Golani et al. (eds.), *op. cit.* (٢٥)
- Gideon Vitkon, "Issues in Land in View of Immigrant Absorption," in Golani et al. (eds.), *op. cit.* (٢٦)
- David Pines, "Population Dispersal Policy," *The Economic Quarterly*, Vol. 40, No. 3, 1993. (٢٧)
- Amiram Gonen (ed.), *The Geography of Immigrant Absorption: The Lessons of the Past and View of the Future* (Jerusalem: Israel Geographical Association, Hebrew University, July 1990);
- Fialkoff, *op. cit.*; Shlomo Hasson, "Who are the Immigrants? Where and How وانظر أيضاً: are They Living?" *Israel Studies*, Vol. 5, Winter 1992.
- Elihu Stern et al., *Caravan Sites and Temporary Housing in Israel* (Jerusalem Ministry of Housing, 1992) (Hebrew). (٢٩)
- Gila Menachem, *Renovation and Rehabilitation in Tel-Aviv and Housing Opportunities for Immigrants in the 1990s* (Tel-Aviv: Tel-Aviv University Research Study, 1993) (Hebrew). (٣٠)
- (٣١) من أجل دراسة تفصيلية للمهاجرين، والاستقبال في مدن التطوير المتعددة، أنظر: Golani et al., *op. cit.*
- Aharon Fein, *The Plans of CIS Immigrants to Purchase Homes in Israel* (Jerusalem: Jerusalem Institute of Israel Studies, 1993) (Hebrew); Hasson, *The Great Wave... op. cit.*
- Noah Levin-Epstein and Gila Menachem, *Tel-Aviv Immigrant Surveys* (Tel-Aviv: Tel Aviv University, 1992/1993) (Hebrew). (٣٣)
- Yitzhak Zvi Gonen, "Special Aspects of Psychological Counseling in the Employment of Soviet Immigrants," in M. Aran et al. (ed.), *The Employment Absorption of CIS Immigrants 1989-1992* (Jerusalem, 1993) (Hebrew). (٣٤)
- Vladimir Kabitko and Jan Zussman, "Developing Confrontational Skills: Group Work with CIS Immigrants," Paper Presented to the Psychological Association of Bar-Ilan University, 1993 (Hebrew). (٣٥)
- David Der'i et al., "A Survey of Immigrant Surveys," *Israel Studies*, Vol. 5, Winter 1992. (٣٦)
- تتناول هذه المقالة ٨٤ بحثاً، وهناك الآن أكثر من ٣٤٠ بحثاً.
- Benjamin Toren, "Immigration and Israel's Software Industry," *Israel Studies*, Vol. 5, Winter 1992. (٣٧)

- Judith Shuval, "Social Functions of Medical Licensing: A Case Study of Soviet (٣٨) Immigrant Physicians in Israel," in Horowitz (ed.), *op. cit.*, pp. 137-161.
- Dan E. Benor and Yitzhak Romem, "Training Immigrant Doctors: Issues and Responses," (٣٩) *Medical Education*, Vol. 27, No. 1, 1993.
- Yehoshua Hendeles and Miri Lerner, *New Entrepreneurs and Entrepreneurial (٤٠) Aspirations Among Immigrants from the Former USSR in Israel* (Tel-Aviv: Tel Aviv University Working Paper 25/93, 1993).
- E. Bunk and F. Raday, *The Integration of Russian Immigrants into the Israeli Labour (٤١) Market* (Jerusalem: Hebrew University, Harry and Michael Sacher Institute for Legislative Research and Comparative Law, 1993).
- Basile Kerblay, *Modern Soviet Society* (London, 1983), pp. 126-129. (٤٢)
- Aharon Fein, *The Needs of Immigrant Women from the CIS for Work and Day Care (٤٣) Centres* (Jerusalem: Tazpit Research Institute Report, 1991) (Hebrew).
- Yehuda Matras, "Aspects of the Absorption of Older Immigrants in the Work Force," (٤٤) *Gerontology*, No. 53, 1991.
- Rafael Gelbart, "Immigrant Absorption and Structural Change in the Era of 'Market Force (٤٥) Economy'," *Minhalim*, September 1991 (part I), October 1991 (Part II) (Hebrew).
- Fein, *Processes of Integration... op. cit.* (٤٦)
- Rafael Gelbart, "Immigrants: Asset or Liability?" *Ha-reshut Netuna* (Journal of the Local (٤٧) Authorities), November 1990 (Hebrew).
- Aharon Fein, *The Jewishness of the Immigrants from the CIS* (Jerusalem: Tazpit Research (٤٨) Institute, 1993).
- (٤٩) تعرف بطاقة الهوية الإسرائيلية "جنسية" حاملها كما تحددها الجماعة الدينية. لكن التعريف اتخذ، مع وصول المهاجرين من الاتحاد السوفياتي، دلالة "إثنية".
- Yigal Ginath et al., "The Psychological Profile of Jewish Late Adolescents in the USSR: (٥٠) A Pre-Immigration Study," *Israel Journal of Psychiatry and Related Sciences*, Vol. 29, No. 3, 1992.
- Leah Prawer and Julia Mirsky, *To Immigrate as an Adolescent: Immigrant Youth from (٥١) the Former Soviet Union in Israel* (Jerusalem: ELKA and Van Leer Institute, 1992).
- Robert Kohn et al., "Mental Health Attitudes and Practices of Soviet Immigrants," (٥٢) *Israel Journal of Psychiatry and Related Sciences*, Vol. 27, No. 3, 1990.
- Zilber and Y. Lerner, *Psychological Distress Among Soviet Immigrants Before and After (٥٣) the Gulf War* (Jerusalem, 1991).
- Larissa J. Remennick, "Initial Experience in Sex Education for the Adolescent Migrants (٥٤) from the ex-USSR to Israel," *International Journal of Adolescent Health and Medicine*, 1993.
- Eitan F. Sabatello, "Continuity and Change in Reproductive and Abortion Patterns of the (٥٥) Soviet Immigrants in Israel," Paper Presented at the European Population Conference, Paris, 1991.
- B. Brover and J. Hirschberg, "The Russians are Coming," in Michal Zmora-Cohen (ed.), (٥٦) *Music in Time* (Jerusalem: Jerusalem Academy of Music, 1993).
- Dimitri Segal, "Russian Aliya and Israeli Culture," in Horowitz (eds.), *op. cit.*, pp. 247-(٥٧) 251.

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: [majallat@palestine-studies.org](mailto:majallat@palestine-studies.org)  
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:  
<http://www.palestine-studies.org/ar/mdf>